ردمد: ٧١٨٩ - ١٦٥٢ ردمد (النشر الإلكتروني): ٧٤٧٢ – ١٦٥٢ العدد السادس والعشرون ... رجب ١٤٤٢ هـ - مارس ٢٠٢١ م

مجلة جامعة الباحة

للعلوم الإنسانية

دورية - علمية - محكمة

مجلة علمية تصدر عن جامعة الباحة

البريد الإلكتروني: buj@bu.edu.sa الموقع الإلكتروني: https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

مجلة جامعة الباحة
للعلوم الإنسانية

العدد السادس والعشرون ... رجب ١٤٤٢هـ - مارس ٢٠٢١م ردمد: ٧١٨٩ - ١٦٥٢ ردمد (النشر الإلكتروني): ٧٤٧٢ - ١٦٥٢

المحتويات

التعريف بالمجلة .....

الهيئة الاستشارية لمجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية .....

المحتويات.....

الإقامة في غير البلاد الإسلامية: دراسة فقهية 1

د. أمل بنت إبراهيم بن عبد الله الدباسي

جمع مفردات اللغة الدارجة ودراستها بين التأييد والرفض 45

د. منصور سعيد أحمد أبوراس

الشعر الصوفي العربي في دراسات المستشرقين رينولد نيكلسون أنموذجاً..... 80

د. أحمد بن صالح أحمد الغامدي

محمد بن عبدالسلام الخشني وجهوده العلمية في الأندلس..... 107

د. مها بنت مفرح بن مانع أل محمود

تحليل محتوى أسئلة مقررات الفقه بالمرحلة المتوسطة في ضوء العمليات المعرفية: (دراسة تقويمية)..... 134

د. محمد زيدان عبدالله ال محفوظ ..... د. محمد عوض محمد السحاري

دور معلمي العلوم الشرعية في تنمية الثقافة الصحية من خلال المقررات لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظرهم بمنطقة عسير 172

د. مسفر أحمد مسفر أل عاطف الوادعي

تحليل محتوى مقرر العلوم للصف الخامس الابتدائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الإعجاز العلمي في القرآن الكريم..... 203

د. أماني خلف الغامدي..... د. فياض حامد العنزي..... د. لمياء جادالرب الجبيلي

الاضطرابات السلوكية الخارجية وعلاقتها بتكرار الجرائم لدى الأحداث الجانحين بمحافظة الباحة: دراسة اكلينيكية سيكومترية..... 238

د. نجلاء محمود محمد الحبشي

دور جامعة الباحة في تحقيق الامن الفكري للطلبة من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية والطلبة..... 270

د. عطية محمد الأحمد البدارنة

درجة استفادة أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية من المؤتمرات الدولية والمحلية..... 312

د. عواد حماد الحويطي

درجة ممارسة قادة المدارس الابتدائية بمنطقة عسير الحضرية لأبعاد الذكاء الاجتماعي وعلاقتها بمشاركة المعلمين في صنع القرارات المدرسية..... 336

د. محمد أحمد علي أل مسلط.....د. سلطان سعيد عبده المخلافي

Magical Realism in Ben Okri's Novel *The Famished Road*..... 377

الواقعية السحرية في رواية بن أوكري طريق الجوع .....

Dr. John Kuriakose

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الباحة

وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية

تصدر عن جامعة الباحة

مجلة دورية ـــ علمية ـــ محكمة

الرؤيـــة: أن تكون مجلة علمية تتميز بنشر البحوث العلمية التي تخدم أهداف التنمية الشاملة بالمملكة العربية السعودية وتسهم في تنمية القدرات البحثية لأعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم داخل الجامعة وخارجها.

الرسالة: تفعيل دور الجامعة في الارتقاء بمستوى الأداء البحثي لمنسوبيها بما يخدم أهداف الجامعة ويحقق أهداف التنمية المرجوة ويزيد من التفاعل البناء مع مؤسسات المجتمع المحلي والإقليمي والعالمي.

رئيس هيئة التحرير:

د. مكين بن حوفان القرني

مدير التحرير:

د. محمد عبد الكريم علي عطية

أعضاء هيئة التحرير:

د. سعيد بن أحمد عيدان الزهراني
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية العلوم والآداب بالمندق جامعة الباحة

د. عبد الله بن خميس العمري
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب ببلجرشي جامعة الباحة

د. محمد بن حسن الشهري
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الباحة

د. خديجة بنت مقبول الزهراني
أستاذ مشارك بقسم الإدارة والتخطيط التربوي
كلية التربية جامعة الباحة

د. محمد بن عبد الكريم علي عطية
أستاذ مشارك بقسم الإدارة والتخطيط التربوي
كلية التربية جامعة الباحة

ردمد النشر الورقي: 7189 ـــ 1652

ردمد النشر الإلكتروني: 7472 ـــ 1658

رقم الإيداع: 1963 ـــ 1438

ص. ب: 1988

هاتف: 00966 17 7250341 / 00966 17 7274111

تحويلة: 1314

البريد الإلكتروني: buj@bu.edu.sa

الموقع الإلكتروني: https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

الشعر الصوفي العربي في دراسات المستشرقين رينولد نيكلسون أنموذجًا

د. أحمد بن صالح أحمد الغامدي

أستاذ الأدب والنقد الحديث المساعد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الباحة

الملخص:

حاول هذا البحث بواسطة المنهج التحليلي ونقد النقد مراجعة الكيفية التي قرأ بها (رينولد نيكلسون Reynold. Nicholson) الشعر الصوفي العربي، وجعله محلا للمقارنة، واستنتاج الأفكار والقضايا، والتمثيل عليها، وصلت المراجعة التحليلية إلى أن (نيكلسون Nicholson) التزم في طريقته بالمنهج التاريخي المرتكز على الموضوع، وضرورة فهمه بوصفه دالا على الواقع والحقيقة، وانتخاب نماذج منه، مع مراعاة السياقات الثقافية المكونة لها، ومدى تطورها تاريخيا، بهدف كسب تعاطف القارئ الأوروبي، وخلص (نيكلسون Nicholson) –بعد ذلك –إلى أن الشعر الصوفي العربي أقل تعبيرا وأضعف تأثيرا من الفارسي، لاستغراق الشعراء العرب في الأساليب البيانية المرهقة للمترجم والمضعفة للأثر الروحي، وكان من نتائج ما توصل إليه البحث: أن (نيكلسون Nicholson) تمكن في منهجه السابق من التنبه إلى بعض المبادئ المهمة للقراءة، وتأويل بعض الرموز الصوفية، وتنويع طرق استنتاجه، إلا أنه –في المقابل –أهمل أثر الفردية، والأساليب البيانية المؤثرة في تشكيل المعنى، ما كان لذلك سبب في إضعاف القيمة الحقيقية للشعر الصوفي العربي، والحد من وظائفه التعبيرية، وتأكيد صورة العقل الشرقي المتسم في خطاب الاستشراق بعدم الدقة والقدرة على الدمج والانتظام.

الكلمات المفتاحية: الصوفية؛ الأدب الصوفي العربي؛ رينولد نيكلسون؛ نقد النقد؛ الاستشراق.

Sufi Arabic Poetry in Orientalist Studies Reynold Nicholson Case of Study

Dr. Ahmed bun Saleh Ahmed Algamdi

Assistant Professor of Literature and Modern Criticism, Dept. of Arabic Language

Faculty of Arts and Humanities at Al-Baha University

Abstract:

This research used analytical approach, criticizing of critique to reevaluate the way that Reynold Nicholson has used to study Sufi Arabic Poetry, making it a topic of comparison, extracting ideas and issues, and giving representing examples, This analytical approach concludes that Nicholson was committed in his methodology to historical method that based on the topic, the need to understand it as evidence of fact and reality, selecting samples, by giving special consideration to the component of cultural context, and how historically developed aiming to win the sympathy feelings of European reader, Nicholson, then, concluded that the Arabic Sufi Poetry is less in expression and effectiveness in comparison with Persian's one, because that Arab Poet consumed in lingual expressions that cause fatigue to translator, while at the same time reducing spiritual effect, The research found out that Nicholson was successful in his earlier approach to notice some critical principles of reading and interpreting some Sufi symbols, and varied his conclusions. But, on the other hand, he neglected the effect of individualism, the figurative language that affect in building of meaning, which has effect in weakening the spiritual value of Arabic Sufi Poetry, reducing its expressional function, and stabilizing the idea that oriental mentality is inaccurate and not able to link and correlate, when it is about oriental discourse.

Keywords: Sufism, Sufi Arabic Literature, Reynold Nicholson, Criticizing of Critique, Orientalism.

.

مقدمة:

يحاول هذا البحث أن يقدم وصفًا تحليليًا ونقدًا تفسيريًا لمنهج التعامل مع الشعر الصوفي العربي، وما صاحبه من آراء وإشكالات وقضايا في دراسات المستشرق الإنجليزي (رينولد نيكلسون Reynold Nicholson)، وتحديدًا في كتبه الآتية: (A Literary History of The Arabs) (التاريخ الأدبي للعرب[١])، و(Islamic Poetry and Mysticism) (الشعر الإسلامي والتصوف[٢])، (Studies in Islamic Mysticism) (دراسات في التصوف الإسلامي[٣])، و(الصوفية في الإسلام[٤])، والاعتماد عليها بوصفها مصادر رئيسة.

ولعل اختيار نيكلسون Nicholson مبرر من الناحيتين التاريخية والمعرفية، فهو يعد من رواد المدرسة الإنجليزية في دراسة المذهب الصوفي وآدابه الفارسية والعربية، وتحقيقها، وترجمتها إلى الإنجليزية[٥]. ولا أدل على ذلك من اعتراف (محمد الشرقاوي) بأهميته التي كسبها من "وفرة دراساته وعمق مراجعاته وجرأة رجوعه عن كثير من التصورات، حتى أنه قضى نحبه ولم يتمكن من كتابة تاريخ عام للتصوف الإسلامي"[٦]، في دلالة على استغراقه وإخلاصه لموضوعه، حتى أصبح مرجعًا موثوقًا للصوفية وآدابها، تُعامل نتائجه -أحيانًا -على أنها نهائية[٧].

وكانت آراؤه حول بعض الظواهر الفنية والرمزية للشعر الصوفي العربي التي ستقف الدراسة عندها عرضا وتحليلا محل اتباع عند نقاد عرب، تأثروا بها وحاولوا تطويرها.

وعلى الرغم من أهمية (نيكلسون Nicholson) في قراءة الشعر الصوفي العربي، فإنه —على حد علم الباحث —لا توجد دراسات نقدية عربية حول منهجه في التحليل والتفسير، وعلاقته بخطاب الاستشراق، بل انحصرت الدراسات عنه في ثلاثة سياقات:

١-سياق ديني، يحاول أن يجعل من الشعر الصوفي العربي في كتب (نيكلسون Nicholson) مثالا لتوضيح الصوفية الإسلامية، أو مقارنتها بغيرها من الصوفيات مما يدخل ضمن ما يسمى بـ(الدين المقارن)، ومن

---

(1) A literary History of The Arabs, R. A. Nicholson, New York, 5ed, 1907.

(2) Islamic Poetry and Mysticism, R. A. Nicholson, Adam Publishers and Distributors, New Delhi, 2011.

(3) Studies in Islamic Mysticism, R, A. Nicholson, Cambridge University press, Cambridge, 1921.

(٤) الصوفية في الإسلام، أرنولد نيكلسون، ترجمة: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.

(٥) موسوعة المستشرقين طبعة جديدة منقحة ومزيدة بثمانين مادة جديدة، عبد الرحمن بدوي، ت١٤٢٣هـ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص ص٥٩٣-٥٩٤.

(٦) الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي (مصادره وآثاره) تحليل ونقد، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٢١.

(٧) المرجع السابق، ص١٨٣. وعلى الرغم من ذكر (الشرقاوي) لذلك في سياق نقدي، فإن تلك المقولة دالة على أهمية ما وصل إليه (نيكلسون Nicholson) من سمعة ومكانة علمية، أكدها (عبد الرحمن بدوي -ت ١٤٢٣هـ) في ترجمته له، وذكر أنه يعد من "أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي". التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، عبد الرحمن بدوي، ت١٤٢٣هـ، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٥م، ص٥٩٣.

أمثلتها التي استفاد منها الباحث في توضيح مفهوم الصوفية وتاريخها ومقاماتها وحالاتها: كتاب إبراهيم بسيوني (نشأة التصوف الإسلامي)[١].

٢–سياق ثقافي، يتمركز حول معرفة التداخل والتأثر والتأثير بين الصوفية العربية والفارسية خصوصا؛ إذ كان للشعر الصوفي العربي عند (نيكلسون Nicholson) حضور في سياق التمثيل لذلك، مثل دراسة (رشيد يلوح)[٢].

٣–سياق نقدي فني، اهتم بتحليلات نيكلسون Nicholson في توضيح جماليات الشعر الصوفي العربي، وكشف رموزه، أو طرق بناء الصورة لدى مجموعة من شعرائه، مثل دراسة (خناثة بن هاشم) المعنونة بـ(الشعر الصوفي بين الرؤية الفنية والسياق)[٣]، أو لدى شاعر منهم، مثل دراسة (حوماد صليحة) للرمز الصوفي في شعر (ابن الفارض)[٤].

ويلاحظ على الدراسات السابقة أنها لم تكن خاصة بدراسات (نيكلسون Nicholson)، وكان الاهتمام بها حاضرا في سياقات غير أدبية، مثل الأديان والتداخل الثقافي، أو سياقات أدبية لكنه محصور في توضيح الجماليات والدلالات المبهمة. فكانت القراءات –في ضوء ما سبق –أمثلة ونماذج للقضايا وليس للمنهج والطريقة. ولذا؛ جاءت هذه الدراسة لتقلب الاهتمام، وتجعل من دراسات (نيكلسون Nicholson) للشعر الصوفي العربي منطلقا للتعريف بمنهجه، وتأثيراته وإشكالاته وعلاقته بخطاب الاستشراق بوصفه مرجعا ومقياسا للتجاوز والاختلاف، أو الاتساق والتكرار.

وبناء على ما سبق؛ سيكون السؤال الرئيس مرتكزا حول الكيفية التي قرأ بها (نيكلسون Nicholson) الشعر الصوفي العربي؛ ما تميزت به، وما تركته من ثغرات، وأثارته –بعد ذلك –من إشكالات.

وستكون الإجابة عن الأسئلة السابقة مستعينة بالمنهج التحليلي في مبادئه الثلاثة: الوصف والنقد والتأويل. فالوصف سيتمثل في توضيح المفاهيم والتصورات التي تبناها (نيكلسون Nicholson)، وتحديد سياقاتها التاريخية والثقافية، والمعايير، والأساليب المستخدمة في استخلاص أحكامه الفنية والمعرفية. أما نقد النقد فسيتمثل في إعادة النظر في مكونات تلك الأحكام وإجراءاتها، واستنتاج مميزاتها وإشكالاتها. في حين أن التأويل سيحضر في ربط نتائج النقد مع خطاب أعم؛ هو خطاب الاستشراق الذي يعد (نيكلسون Nicholson) جزءا منه ودالا عليه.

---

[١] نشأة التصوف الإسلامي، إبراهيم بسيوني، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).

[٢] التداخل الثقافي العربي –الفارسي من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري، رشيد يلوح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ٢٠١٤م.

[٣] الشعر الصوفي بين الرؤية الفنية والسياق، خناثة بن هاشم، بيروت، كتاب –ناشرون، ٢٠١٧م.

[٤] الرمز الصوفي في شعر ابن الفارض دراسة في المستويات الجمالية والدلالية، حوماد صليحة، أطروحة دكتوراه، الجزائر، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٧–٢٠١٨م.

وستُبنى هذه الدراسة على أربعة محاور، يعالج كل محور فيها أثرا من آثار السؤال الرئيس، فالمحور الأول سيحاول الإجابة عن مفهوم الصوفية عموما، وأهم مبادئها الأساسية والمتطورة التي لا يمكن للباحث في الصوفية أن يتجنبها، ولا يمكن للشاعر الصوفي أن يتجاهل التعبير عنها قصدا أو إشارة، دون إبداء حكم فقهي على مضامينها. أما المحور الثاني فسيكون مخصصا للشعر العربي عموما الذي حاول (نيكلسون Nicholson) أن يستنتج منه مبادئ الصوفية وأسلوب الشعراء في التعبير عنها، بينما سيخصص الثالث للشعر الصوفي العربي وكيفية قراءته، وما تضمنته القراءة من أفكار موضوعية وقضايا منهجية، ليكون المحور الرابع معنيا بالوقوف على منهج نيكلسون؛ نقدا وتأويلا.

وتهدف الدراسة –بصورة أساسية –إلى التعرف على طريقة (نيكلسون Nicholson) في قراءة الشعر الصوفي العربي، والاستفادة من تأويلاتها وأساليبها في فهم تطور الشعر العربي، خصوصا في فتراته المتداخلة مع الثقافات الأخرى. وتهدف –أيضا –إلى وصل الهدف السابق بهدف أكبر، يتجه إلى الكشف عن الخطاب الاستشراقي ودلالاته في التعامل مع النصوص الأدبية العربية بوصفها دلائل على التفكير العربي خاصة، والعقل الشرقي عامة.

مفهوم الصوفية:

ليس من هدف هذا المحور أن يقدم عرضا تاريخيا مفصلا للصوفية، أو يحكم على تصوراتها واعتقاداتها دينيا أو مذهبيا؛ وإنما سيحاول أن يصف أهم مبادئها وتصوراتها وممارساتها التي حاول الشعر تمثلها، متجاوزا بعض المسائل المتعلقة بأصل التسمية، أو أصولها المتنازع عليها تاريخيا، وواقفا عند ما يمكّن البحث من رسم خطوط عريضة للمذهب نظريا وعمليا.

يمكن القول –بداية –إن الصوفية مثلها مثل كثير من الحركات الدينية، مرت بمرحلتين: كانت في الأولى عملية وتعبدية، ثم أصبحت بفعل التدوين فلسفية وتأملية[١].

تقوم الصوفية –بعد ذلك –على مبدأ الحب الإلهي، الذي يميزها عن الفرق الإسلامية الأخرى، بوصفه عبادةً مبنية على حب الذات الإلهية، دون ارتباط باسم أو صفة، أو جزاء أو عقاب، أو خوف أو رجاء[٢].

وجاءت المحبة من "الفطرية والنقاء من الغرض والمبادلة والملازمة ورهافة الحس"[١]، وقامت بدور أساسي في كثير من الرياضات الروحية[٢]، وارتقاء المقامات التي ينالها الصوفي بقدر جهده في خلوته، ودخوله إلى عوالم نفسية عرفت بالأحوال[٣].

---

[١] ينظر مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، ت٨٠٨هـ، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت/صيدا، ٢٠٠٩م، ص٤٥١. وينظر الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي (مصادره وآثاره) تحليل ونقد، محمد عبد الله الشرقاوي، ص٦٨.

[٢] ينظر التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري، عبد الحكيم حسان، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٤٦، ص ٥٢.

وإذا كان الحب قيمة عليا عند الصوفي، فإنه يتحول في موضع لاحق إلى وسيلة لمعرفة الله معرفةً لدنية[٤]، تنعكس على أحكام الصوفيين وتنبؤاتهم[٥]، وتسمى كشفا، وتقترب من معنى الغنوصية التي فسرها (بدوي – ت١٤٢٣هـ) على أن" الإنسان لا يستطيع بقواه العادية الوصول إلى المعرفة العليا؛ ولهذا يحتاج إلى مصدر عالٍ لإيصالها إليه"[٦].

ولقد جعلت المحبة بذلك من القلب مصدرا للمعرفة، مقدما على العقل[٧]، ومفتاحا لإدراك الوحدة في الكون[٨]، و(وحدة الأديان)[٩]، والحلول[١٠]، وطورت كثيرا من المفاهيم القديمة العملية، مثل: العزلة [١١]، والتجرد"[١٢].

تلك أهم المضامين الأساسية للتصوف، التي حاول الشعر التعبير عن معناها، وسيحاول البحث الوقوف عندها في قراءة (نيكلسون Nicholson) للشعر الصوفي العربي، والتعرف على طريقته في استدعائها وتوظيفها.

الشعر العربي بوصفه مرجعا للصوفية

لقد تعامل (نيكلسون Nicholson) مع الشعر العربي عموما من حيث إنه دال على معاني التصوف، وإن لم يكن محسوبا على الشعر الصوفي. ويمكن الاكتفاء هنا بالإشارة إلى دراسته لتأملات المعري (The Meditations of Maarri) في كتابه (Islamic Poetry and Mysticism)[١٣]؛ فلقد خصص له فصلا كاملا، قدم فيه عرضًا تاريخيًا لنمط الحياة الاجتماعية والثقافية، والاضطرابات السياسية المحيطة به، لتكون

---

(١) نشأة التصوف الإسلامي، إبراهيم بسيوني، ص ص ١٧٩-٢٢٨.

(٢) ينظر التصوف في الشعر العربي، عبد الحكيم حسان، ص٤٦.

(٣) تعد المقامات والأحوال من أهم مفاهيم الصوفية ومفاتيحها العملية والتأملية. ينظر مفهومهما اللمع، أبو نصر السراج، ت٣٧٨هـ، تحقيق: عبدالحليم محمود، سرور طه، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٦٥. ٦٦.

(4) The Theme of Mysticism and its Impact to Arabic Poetry, Abu Kalam Choudhury, International Journal of Humanities and Social Science Studies, volume 11, issue, July, 2015, p182.

(5) Mysticism in Islam, William C. Chittick, a lecture Delivered at The David .M. Kennedy Center for International Studies, Brigham Yong University, May 2003.

(٦) التصوف الإسلامي، عبد الرحمن بدوي، ص٢٢. وينظر، نشأة التصوف الإسلامي، إبراهيم بسيوني، ص٧٦.

(٧) ينظر في تقديم القلب على العقل (أبو الكلام Abu Kalam) ويربطه بالتأمل والذكاء. ينظر، The Theme of Mysticism and its Impact to Arabic Poetry, p182

(8) The Theme of Mysticism and its Impact to Arabic Poetry, p184.

(٩) المرجع السابق، ص٧٤.

(١٠) والحلول: "هو شعور الصوفي باستغراق ذاته في ذات الله". الحياة الروحية في الإسلام، محمد مصطفى حلمي، ت١٣٨٨هـ، مطابع الحلبي، القاهرة، ١٩٤٥م، ص ١٠٢.

(11) The Theme of Mysticism and its Impact to Arabic Poetry, p184.

(١٢) التصوف في الشعر العربي، عبد الحكيم حسان، ص ٢٧١.

(13) Islamic Poetry and Mysticism, pp 43-141.

سندا له في التفسير والتحليل الذي تعرض للجوانب الموضوعية العامة التي أبان فيها (أبو العلاء المعري – ت٤٤٩هـ) عن رؤيته في: الحياة والموت، والمجتمع الإنساني، والزهد، والفلسفة والدين.

يؤكد (نيكلسون Nicholson) في إضاءته للسياقات المحيطة بأدب المعري اعتماده المتين على المنهج التاريخي، المرتكز على مبدأ (الفهم قبل النقد)[١]، الذي شبه من أهمله بمن يضع العربة أمام الحصان[٢]، محذرا من التوسع في الأفكار على حساب الجوانب الفنية، وهو ما استعمله في نقد (فون كريمر Von Kremer) وطريقة تحليله للشعر الصوفي الفارسي[٣].

وقف (نيكلسون Nicholson) بعد ذلك مستنتجا بعض السمات والقيم الروحية من أبيات المعري التي لخّصت أسباب السعادة في العزلة والفقر والرضا والتواضع والصبر[٤]، وهي قيم تتشارك والصوفية التي أُشير إلى مبادئها، خصوصا العملي منها[٥]، لكن (نيكلسون Nicholson) اكتفى بالإشارة إليها دون توجيه لها أو مقارنة مع الصوفية، ناقلا رؤية (المعري)، وأنها كافية في ذاتها لتحقيق السعادة[٦].

يحاول (نيكلسون Nicholson) بذلك رسم خط تمييزي بين تلك المعاني في كونها قيما قائمة بذاتها، أو وسائل ممكنة للتوظيف الروحي كما هي عند المتصوفة، وكأنه يقرر مبادئ الصوفية عن طريق مقابلتها بما يختلف معها في التأمل والاعتبار.

ومن السمات الصوفية التي وقف عندها (نيكلسون Nicholson) في أبيات المعري مستنتجا ومحللا، سمتا الزهد والاجتهاد في العبادة اللتين يرى فيهما تعاليم كانت سائدة في الصوفية المبكرة[٧].

فدل بهذا الرأي من جانب آخر على اعترافه بالمصادر العربية الروحية العملية للتصوف، وفهم مساره التطوري القائم ابتداء من تلك الممارسات التي أصبحت بعد ذلك فلسفة ورؤية[٨].

أما الوقفة التي كانت أكثر صراحة ووضوحا، فهي التي أبان فيها (نيكلسون Nicholson) عن موقف (المعري) من الصوفية، والفرق الرئيسي بينه وبين الصوفيين. فهو يعتقد أن (المعري) مقت الصوفية وازدراها؛

---

(1) Ibid, p95.

(2)Ibid, p45 .

ومن الدلائل الأخرى على اهتمامه بالمنهج التاريخي دراسته لابن الفارض وشعره الصوفي التي استهلها بمقدمة تاريخية، اعتمد عليها في التفسير والاستنتاج. ينظر Studies in Islamic Mysticism, pp164-165.

(3) Islamic Poetry and Mysticism, p45

(4) Ibid, p126.

(٥) ينظر في نسبة تلك السمات إلى الصوفية، مقدمة ابن خلدون، ص٤٤٩. نشأة التصوف الإسلامي، إبراهيم بسيوني، ص١١١.

(6)Islamic Poetry and Mysticism, p126.

(7) Ibid, p133.

(٨) ولقد أكد (نيكلسون Nicholson) في موضع آخر أن الصوفية بدأت من الحركة الزهدية. ينظر A Literary History of The Arabs, p383.

لارتباطها في عهده بمعنى المتشردين والمتسولين[١]، وبمصدر المعرفة والإدراك. فـ(المعري) –بحسب وصفه –ليس لديه روح الصوفية؛ لأنه يقدم العقل على القلب في التمييز بين الأشياء من حيث الصحة والخطأ وإدراك الأخلاق[٢]، ليؤكد (نيكلسون Nicholson) بذلك، وبطريقة خلفية قائمة على النفي لتحقيق الإثبات، ارتباط الصوفية بالقلب الذي أصبح لها مصدرا للحب والمعرفة كما عُرض في المحور السابق[٣].

حاول بعد ذلك (نيكلسون Nicholson) أن يوجد رابطا بين (المعري) والصوفية، فاختصر ذلك في مسألة الزندقة التي فسرها بالتفكير الحر، وأنها والصوفية شريكان في محاربة الفرق الإسلامية المتشددة، ومتشابهان في نظرتهما إلى الأديان، وأنهما على مستوى واحد في اعتمادهما على مبدأ التسامح، وتحذيرهما من البغض الأعمى[٤].

ويلاحظ هنا أن (نيكلسون Nicholson) لم يقدم الأدلة التاريخية لعقد الصلة بين الطرفين، بل عوضها بتصور ذاتي، يناقض فيه منهجه التاريخي وأسلوبه القائم على الشواهد وليس التصورات. بل إن التصور ذاته قائم على تناقض آخر، فمن الصعب قبول الصوفية على أنها مثال على الحرية! فهي –كما هو يرى في سياق ربطه بينها وبين الزندقة –عقيدة وشعائر يتخللها بعض الصعوبات التي يكون القصد منها الوصول إلى الحقيقة[٥]. وهذا منافٍ للحرية التي تحاول الابتعاد عن الارتباط بالعقيدة؛ لأنها ترى الحقيقة نسبية وغير مطلقة[٦].

وقد يكون عدم تحديد مسألة اشتراكهما في العداء للفرق الإسلامية الأخرى مخالفة أخرى لمنهجه التاريخي؛ فالصوفية لم تعاد السلفية وأهل السنة مثلا، بل اختلفت معهما، ولم يشتد الاختلاف بينهما إلا في الصوفية المتأخرة وأفكارها غير المألوفة[٧]، وهذا ما لم ينتبه إليه (نيكلسون Nicholson) رغم تاريخيته، فلم يميز بين الصوفية ومراحلها من حيث العلاقة مع المذاهب الإسلامية الأخرى.

ويتضح مما سبق أن (نيكلسون Nicholson) حاول استنتاج عدد من المبادئ الصوفية في قراءته لتأملات المعري بطرق مختلفة: مرة عن طريق استنتاج مبادئ عامة، ومرة عن طريق النفي، ومرة ثالثة عن طريق إيجاد الشبه بينها وبين تصورات أخرى.

---

(1) Islamic Poetry and Mysticism, p194.

(2) Ibid, p194, p198.

(٣) ينظر في تقديم القلب على العقل، التصوف في الشعر العربي، عبد الحكيم حسان، ص١٩.

(٤) Ibid, p194-195. وينظر أيضا في رؤيته للزندقة على أنها تفكير حر. A literary History of The Arabs, p387

(5) Islamic Poetry and Mysticism, p194.

(٦) ينظر مفهوم الحرية وأنها قيمة دالة على التمرد والنسبية، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، ترجمة: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠م، ص ص٢٩١-٢٩٣.

(٧) ومن الدلائل على ذلك، ما نقله (بدوي) من أن (ابن تيمية – ت٧٢٨هـ) كان يعد الأحوال والمقامات من أصول الدين الإسلامي، في دلالة على اتفاقه مع الصوفية المعتدلة، واختلافه مع مبالغاتها المتأخرة. ينظر، التصوف الإسلامي، عبد الرحمن بدوي، ص٨١.

ولقد حاول الالتزام في كل ذلك بالمنهج التاريخي الذي علّل به بعض المواقف، إلا أنه لم يراعه في بعض منها، مثل علاقة الصوفية بالمذاهب الإسلامية، ما سبب ضعفا في التعليل.

وكانت قراءته مقتصرة على الأفكار والمواضيع دون التطرق للجوانب الفنية، التي لا يجب على التاريخ إهمالها كما يرى (رينيه ويليك Rene Wellek)[١]، ليقع فيما حذر منه في سياق نقده لـ(كريمر Kremer) من التركيز على الفكري وإهمال الفني.

المقارنة والموازنة والمثال

يمكن حصر الشعر الصوفي العربي في دراسات نيكلسون في مسائل ثلاث: تتعلق الأولى بالمقارنة مع الشعر الفارسي، والثانية بمبدأ الحب الإلهي وموازنته بالغزل والنسيب عند العرب، والثالثة باستخدام الشعر مثالا لتعيين المفاهيم والتجارب الصوفية.

١-المقارنة بين الشعر العربي والفارسي:

يقارن نيكلسون Nicholson بين الشعر الصوفي العربي والشعر الفارسي في سياق عرضه لأصول الصوفية ومبادئها الأساسية، ومدى تمثل الشعر لها، ويلخصها في جملة ترجمها (نور الدين شريبه) بطريقة فنية، يقول فيها: "والعرب في الشعر الصوفي يعطون الجزية عن يد للفرس"[٢].

ويُستخلص من الجملة السابقة تفوق الشعر الفارسي على العربي من حيث قدرته على التعبير عن الصوفية وتمثيله لقيمها، وأضاف إليها جملة أخرى مشابهة لها في موضع آخر، معللا إياها بأن الصوفية الفارسية أكثر تجانسا وروحية من العربية، وتأثيرها في الشعر الفارسي ملحوظ، ولا يقارن بتأثير العربية[٣]. ونص على تفوق الفارسية على العربية في موضع ثالث يقول فيه: إن العرب "لديهم قصائد صوفية ذو قيمة تقف بجانب السادة الفارسيين"[٤]؛ إذ يمكن تفسير السيادة بالتفوق، المعللة بحسب السياق بالكم والعبقرية[٥].

ولا تثبت النصوص السابقة دلائل التأثر والتأثير بين الصوفيتين وأدبهما، بقدر ما تتجه إلى فرض نوع من المفاضلة لم تؤكده الأدلة، ولم يفصّل (نيكلسون Nicholson) في كيفية الوصول إلى استنتاجه، وكأنه بذلك يكتفي بالخبرة العملية دون الإفصاح عنها نظريا وموضوعيا، في منافاة لشرط الحكم الذي عليه أن يتحلى بأكبر نسبة من "الدقة والمعرفة والملاحظة الممحصة والحساسية المرهفة"[٦].

---

[١] ينظر مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة: محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧م، ص٣٩.

[٢] الصوفية في الإسلام، ص١٠٤.

[3] A literary History of The Arabs, p393.

[4] Ibid, p394

[5] Studies in Islamic Mysticism, p162.

[٦] مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ص٢٢.

لقد قفز (نيكلسون Nicholson) على مسألة توضيح المعايير التي اعتمد عليها في المقارنة، وحاول تعويضها بذكر التعليلات. وإذا كان التعليل السابق قائما على مبادئ الكم والتجانس والعبقرية، فإنه في سياق آخر أقامه على العرق Race، بالنظر إلى الشاعر العربي غير القادر على توحيد الأشياء، ودمج الحقائق الخاصة المستنتجة من التجارب في صورة كاملة، فهو "يميز الأشجار بشكل واضح لكنه لا يستطيع تمييز خشبها"(١)، وبالنظر إلى شعره الذاتي والعاطفي، ذات الانطباع القوي غير القادر على استخلاص الفكر ودمجه في العاطفة بواسطة الخيال المحلق على الوقت والمكان(٢).

ويرجع كل ذلك إلى الطبيعة والبيئة الصحراوية التي تحصر الشعر العربي داخل عوالم محدودة، وإلى تقاليده في الكتابة التي تحول دون كتابة شعر منثور يمكّن الشاعر من السرد المتواصل الذي يكون ملائما للتجارب الصوفية(٣).

وما يلاحظ في تلك التعليلات: التطبيق الصارم للمنهج الذي يغلّب ربط النص بصاحبه، وعلاقته بأمته وتربيته وثقافته(٤)، وما يترتب على ذلك من تعميمات وتنميطات Stereotypes؛ إذ يكمن إشكال هذا المنهج في الاستقراء الناقص، والافتراضات القائمة على التصورات الشائعة، مثل: فكرة عدم دقة العقل الشرقي ونظاميته(٥)، أو عدم قدرته على الإحساس بالفردية تجاه بعض الأحداث التي تأتي منفصلة عن بعضها وغير مندمجة كما يرى (هـ. أ. ر. جب H. A. R. Gibb)(٦).

وتجعل تعليلات (نيكلسون Nicholson) الفائتة من الشعر الصوفي العربي دليلا منتظما آخر على صورة العقل العربي في كتابات بعض المستشرقين التي تحاول إرضاء التوقعات والسير في نسقها(٧)، "فإذا بملاحظة بشأن شاعر عربي...قد تكاثرت، فتضخمت، فأصبحت سياسة تُتخذ تجاه العقلية الشرقية"(٨).

يضاف إلى ما سبق ضعف بعض تبريراته إلى الحد الذي يمكن أن تكون دليلا عليه، فوصف الشعر العربي بالعاطفي، قد تكون ميزة له، خصوصا في مثل هذا النوع من الشعر الروحي، القائم على مبدأ الحدس لا الفكر،

---

(1) Studies in Islamic Mysticism, p163.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(٤) وهو المنهج الذي دعا إليه وطبق عليه (سانت بوف Sainte-Beuve). ينظر النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي هايمن، ترجمة: إحسان عباس، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ج١، ص٢٠٦.

(٥) ينظر الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٩٤، ص ص ٩٦-٩٧.

(6) Modern Trends in Islam, H. A. R. Gibb, University of Chicago Press, Chicago, 1947,p7.

(٧) ولقد أكد (إدوارد سعيد Edward W. Said) هذه الصور بوصفها عملا معرفيا متسقا، ولكن بشكل مصطنع ودال على رغبة في الهيمنة والسيطرة لإنتاج صور وتمثيلات ثابتة. ينظر الاستشراق، إدوارد سعيد، ص٤٩، ص ٥٠، ص ص ٧٠-٧١.

(٨) المرجع السابق، ص١٧٤.

فـ(فريدريك بوتل Friedrich Buatil) يرى في كتابه (مصطلح الشعر The Idiom of Poetry) أن الشعر الروحي دائما ما يعبر عن أسس المشاعر أو الأحاسيس، وأن نقد هذا النوع من الشعر بطريقة أخرى قد يكون إلغاء للآخر وامتداحا للنفس[١].

ولا يكفي تمثل التجربة الصوفية بالاستجابة إلى تصوراتها وتجاربها وحسب، بل عليه أن يمتد إلى تعاليمها، لتكون الاستعانة بالرمز والإيحاء عند الشعراء الصوفيين العرب اتباعا للصوفية التي تدعو إلى ضرورة إخفاء المعارف والكشوفات[٢].

وعلى الرغم مما سبق؛ فقد يساعد التفضيل السابق في فهم عدد من المسائل المتعلقة بقراءة (نيكلسون Nicholson) للصوفية وشعرها، ومنها:

-تأكيد تأثره بالدراسات الاستشراقية الأولى التي انطلقت في مستهل القرن التاسع عشر، المعتمدة على الشعر الصوفي الفارسي في تحديد الصوفية ومفاهيمها[٣]، وقد يكون تفضيله تصديقا لذلك الاهتمام واندماجا فيه.

-استيعاب فكرته عن صعوبة الترجمة التي يرى فيها انحطاطا وتهديما لمعنى الشعر الصوفي الروحي، فهو يعتقد أن ترجمة (جلال الدين الرومي - ت٦٧٢هـ) و(فريد الدين العطار - ت٦١٨هـ) شعرا ونثرا تحمل تحطيما للبهاء، ونزولا بالعاطفة المشبوبة إلى الأرض[٤]، وهو ما أكده أيضا في صعوبة ترجمة (التحيات الكبرى) لـ(ابن الفارض - ت٦٣٢هـ)، واعترافه بإفساد بعض المعاني التي حاول أن يراعي فيها القيمة الصوتية[٥]. وفي هذا الاعتراف رد على ضعف حكمه التفضيلي للشعر الصوفي الفارسي على العربي، بما أن ترجمة هذا النوع تبقى محفوفة بالمصاعب التي لا تمكّن الناقد من الاطمئنان إلى المفاضلة.

وقلّل (نيكلسون Nicholson) -في سياق موقفه من الترجمة -من أهمية البلاغة العربية في سياق مفاضلته، ووجد فيها عاملا مناقضا للتجربة الروحية للشاعر[٦]. وقد يكون الرأي السابق مقبولا فيما يتعلق بترجمة تلك الأساليب وما تنتجه من صور وتجسيدات قد لا يجد المترجم ما يساويها في اللغة الأخرى، إلا أنه لا يكون منصفا؛ فبعض هذه الصور رمزي، تطلبه الحالة الروحية، لما تجده فيها من محاولة للتعبير عما هو غير مألوف،

---

[١] ينظر مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ديفيد ديتسش، ترجمة: محمد يوسف نجم، مراجعة: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، ص٤٢٧.

[٢] ولقد وضح (لويس ماسينيون Louis Massignon) أهمية هذا المبدأ، وأن هناك من علّل مأساة الحلاج بسبب جرأته وكشفه لما يجب إخفاؤه، ومنهم من فسر هذا الكشف بالاستعجال. ينظر لويس ماسينيون، آلام الحلاج، ترجمة: الحسن مصطفى حلاج، شركة قومس للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٩٣، ص ١١٦.

[٣] ينظر الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي، محمد عبد الله الشرقاوي، ص١٤، ص ١٥.

[٤] ينظر الصوفية في الإسلام، ص١٠٥.

[5] Studies in Islamic Mysticism, p189.

[٦] ينظر Ibid, p176, p183.

بأسلوب يحتاج من القارئ جهدا في الإحالة موازيا لجهد الصوفي في التعبير عن رحلته التعبدية وارتقاءاتها، وكأن الشاعر الصوفي يريد بذلك نقل التجربة وليس المعاني وحسب.

ويستند نيكلسون Nicholson في رأيه إلى تصور للترجمة يرى أن أساسها كامن في محاولة الفهم[١]، ولهذا؛ يقترح للتحيات الكبرى –مثلا–ترجمة نثرية حرفية مع ملاحظات شارحة تساعد القارئ على المتابعة والإلمام بالمعنى[٢]. وهو بذلك يهمل النظر في أثر المعنى المتولد أحيانا بسبب تلك التراكيب الصوتية أو الصرفية أو الخيالية، ويؤكد ولاءه للمنهج التاريخي الذي لا يهتم على حد وصف (هيبوليت تين Hippolyte Taine) إلا بالتحري والشرح[٣]، ما يعني تأكيد وقوعه فيما حذر منه من التوسع في الفكري على حساب الفني.

ويعيق إهمال التراكيب –أحيانا –القارئ من الوصول إلى الفهم الصحيح، "فالأدب يتكون من كل المؤلفات التي لا يتحرك معناها وتأثيرها كاملين إلا بالتحليل الفني لصياغتها"[٤]، والفهم لا يتحقق إلا باستدعاء الشكل والمضمون معا، وإقصاء أحدهما سبب في قصوره أو تحققه.

ولن يكون الفهم غاية كما حاول (نيكلسون Nicholson) تصوير ذلك، بل وسيلة ممهدة للحكم والتقويم الصحيح بحسب (رويلك Wellek)[٥]، ما يعني أن اختلال الفهم سيولد بالضرورة اختلالا في الحكم الذي جاء تفضيلا للشعر الفارسي على العربي، وتشويها لعقله.

٢–الشعر العربي وتمثله للصوفية

ولقد حضر الشعر الصوفي العربي في دراسات (نيكلسون Nicholson) دليلا على المبادئ الصوفية، وتمثلا لها، خصوصا المتطور منها، مثل مفهومي الاتحاد والحلول، اللذين استشهد لهما بقول (الحلاج – ت٣٠٩هـ)[٦]:

سبحان من أظهر ناسـوته	سر سنا لاهـوته الثـاقب
ثم بدا لخلقـــه ظـاهرا	في صورة الآكل والشارب

وأن فيهما تأثرا بالمسيحية، وفكرة أن للإنسان مصدرا ربانيا كما يعتقد المتصوفون المتأخرون[٧]. وتابعه في ذلك (عبد الحكيم حسان)، لما أحال (الحلاج) إلى التأثر بالمسيحية في استخدامه لمفردتي اللاهوت والناسوت[٨].

---

(1) Ibid, p189.

(2)Ibid, p189.

(٣) النقد الأدبي الحديث بداياته وتطوره، حلمي القاعود، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٦م، ص١٢١.

(٤) منهج البحث في الأدب واللغة، لانسون ومايبه، ترجمة: محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص٣٩٨.

(٥) ينظر مفاهيم نقدية، رينيه ويلك، ص٢٣.

(٦) ديوان الحلاج، الحلاج، جمع: لويس ماسينيون، كتاب إلكتروني، مجلة الكتب العربية، alarabimag.com/download/20543، ص١٤.

(٧) الصوفية في الإسلام، ص١٣١.

(٨) التصوف في الشعر العربي، عبد الحكيم حسان، ص٥٣.

واستشهد (نيكلسون Nicholson) بـ(الحلاج) أيضا في تأكيد الاتحاد بوصفه امتزاجا، في قوله(١):

مزجت روحك في روحي	كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني	فإذا أنت أنا في كل حال

وفي قوله(٢):

أنا من أهوى ومن أهوى أنا	نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته	وإذا أبصرته أبصرتنا

ليؤكد في استشهاده المصدر المسيحي المتمثل في التأله الشخصي القريب من التأله عند المسيحية، الذي رفضه أهل السنة وبعض المتصوفين(٣).

واستشهد (نيكلسون Nicholson) بأبيات لـ(محي الدين ابن عربي – ت٦٣٨هـ) تؤكد أن الإنسان الكامل عند الصوفي هو من يصل إلى المرآة التي يكشف فيها الله عن نفسه لنفسه(٤).

ولعله يومئ بذلك إلى الأساس الذي انطلقت منه فكرة الاتحاد عند (ابن عربي)، التي تعرض لها (ابن الفارض) في قصيدة (التحيات الكبرى)، وتأكيد مصدرها الروحي والقلبي(٥).

ولقد دلّل على مبدأ القلب المقدم على العقل أو أي دافع آخر، في تحليله لشعر (ابن الفارض)، وأنه –أي الشاعر –ينظر إلى قلبه قبل أن يكتب، لتأتي أبياته مشحونة باللهب والطاقة المستمدين من شعوره العميق(٦)، مشيرا إلى أن (ابن الفارض) أكد مبدأ الروح التي يجب أن تَحذَر من وهم الحوادث، مشبها إياها بالرجل الموجه لظلال الفانوس، المتحكم في عرض الدمى فيما يسمى بـ(خيال الظل)(٧)، فهو مثل الروح خارج الصورة بينما هو من يتحكم بها(٨)، في تأكيد قوة الروح التي يلجأ إليها الصوفي أكثر من العقل، ويعتمد عليها في تحقيق غايته.

---

(١)ديوان الحلاج، ص٢٤.

(٢)المرجع السابق، ص٢٦.

(٣) الصوفية في الإسلام، ص١٤٠.

(٤) المصدر السابق، ص١٥٢.

(5) Studies in Islamic Mysticism, p196.

(6) Ibid, p175.

(٧) خيال الظل: عبارة عن مسرحية يكون الممثلون فيها دمى معلقة بخيوط يتحكم بها ممثل يقف خلف المشاهدين، يتحكم بحركاتهم ومواقفهم، وهي من إنتاج (ابن دانيال – ت٧١٠هـ). ينظر المسرحية العربية والتطورات المبكرة الأشكال التقليدية للفن المسرحي، محمد مصطفى بدوي، ترجمة: ابتسام صادق، ضمن كتاب تاريخ كمبردج للأدب العربي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ٢٠٠٢م، ص٤٦١.

(8) Studies in Islamic Mysticism, p189, p260.

ويذكّر (نيكلسون Nicholson) بفكرة (وحدة الوجود) في تفسيره أبيات ابن الفارض (٧٣٠-٦٥١) من (التحيات الكبرى)، وأن معناها دال على أن كل شيء مختلف هو نفسه[١]، إلا أن تذكيره أشبه بالتعريض لا التوضيح؛ لعدم قناعته بأن (ابن الفارض) كان متأثرا بـ(ابن عربي) في هذه الفكرة[٢].

ويرى أن (ابن الفارض) في الأبيات (١٦٣-١٦٨) شرح الفناء ومراحله التي قطعها تدريجيا، وكيف جرّد نفسه من كل المؤثرات والمعيقات التي حاولت الوقوف بينه وبين فنائه[٣]، وتأكيد الجوانب الأخلاقية، مثل: الكرم، والإيثار، والفقر، والتواضع، لتحقيق الغاية والوصول إلى الحقيقة[٤]. ووجد في قصيدة (التحيات الكبرى) –أيضا – وعظا وتوجيها للتجربة الصوفية[٥]؛ إذ يظن أن شاعرها أراد أن يقول "إن الحالات الصوفية لا يمكن أن تُشرح ولكن يمكن الإشارة إليها رمزيا، إلى أولئك الذين بدأوا يجربونها"[٦].

ويلاحظ أن الشعر الصوفي في الأمثلة السابقة أُستخدم دليلا على المصادر الخارجية للصوفية مثل المسيحية، وما ارتبط بها من أفكار الفناء والحلول، أو مثالا على التعاليم والتجارب الصوفية الإسلامية. وفي هذا إثبات بأن الشعر "كان أشبه ما يكون بجهاز حساس يرصد كل ما كان يتردد في التصوف الإسلامي وما يجد عليه من آراء ونزعات"[٧]، أو مفاهيم، مثل: الفناء، والحب، ووحدة الأديان، والنور المحمدي[٨].

وقد يكون ذلك عائدا إلى هدف (نيكلسون Nicholson) الذي قدّم فيه الصوفية وتاريخها على الأدب والشعر، متجاوزا ما يقتضيه الأخير من اعتبار منهجي مختلف.

ويلاحظ أن قراءته لهذا النوع من الشعر لم تلامس الاتجاه المؤدي إلى توسعة مفهوم الصوفية الشامل للتجارب الشعرية، فللتجربة الصوفية اتجاهان وضعهما (أبو الكلام Abu Kalam) للنقاد، الذين عليهم أن يتعاملوا مع الشعر الصوفي ليس بوصفه دليلا على التصوف وتصوراته، بل على أنه تجربة موازية ممكنة[٩].

٣–الشعر الصوفي العربي وغزل المتيمين:

حضر –أخيرا –الشعر الصوفي العربي في دراسات (نيكلسون Nicholson) في موضوع الحب الإلهي وارتباطه بالغزل الحسي[١]؛ للتشابه بينهما في الأسلوب والعبارات إلى حد الالتباس أحيانا[٢]، ومثّل على ذلك

---

(1) Ibid, p198.

(2) Ibid, p193.

(3) Ibid, p216.

(4) Ibid, p216.

(5) Ibid, p193, p195.

(6) Ibid, p257.

(٧) التصوف في الشعر العربي، عبد الحكيم حسان، ص٢٣٩.

(8) The Theme of Mysticism and its Impact to Arabic Poetry, P183.

(9) Ibid, p183.

بقصيدة لـ(ابن عربي) تتعلق بالأسرار الإلهية، يشرحها شاعرها ليدفع عن نفسه التهم الخاطئة[٣]، معتدا (نيكلسون Nicholson) بذلك الشرح كثيرا، ومؤكدا ضرورة ارتباطه بالنص اجتنابا لاختلاط المعاني بين الحبين الإنساني والإلهي، ومنتقدا في المقابل (ابن الفارض)؛ لأنه لم يوضح قصده من تشبيهاته بتعليق أو شرح -كما فعل (ابن عربي) -منبها أنه لا يمكن للناقد التثبت من المقصود دون الاستعانة بتعليقات الشاعر[٤].

ويمنح (نيكلسون Nicholson) أهمية كبيرة لتعليقات الشعراء الصوفيين، يجملها في أمرين: الأول في إضافة تجربة جديدة للتعبير، والآخر في أنها تمنع الجهد الفردي للناقد أثناء التحليل والاستنتاج من المبالغة في التأويل[٥].

وتؤكد الفقرة الأخيرة ما ذهب إليه البحث من أن تعامل (نيكلسون Nicholson) مع النص الشعري كان تابعا للصوفية وتجربتها، وسبيلا للفهم والتعاطف المبني على فهم المعنى أولا وأخيرا، وليس على التذوق الفني للوسائل المنتجة له، ولهذا؛ كان نقده لشعر (ابن الفارض) قائما على ذلك، فوجده محصورا في ثيمة واحدة، ومنتظما ومكررا إلى الحد الذي شعر فيه بالرتابة[٦].

وهو شعور مرجعه إهمال الوسائل المجازية والبيانية؛ لصعوبتها على الترجمة بحسب رأيه، ولأنها قد تفقد بذلك الأسلوب روحانية التجربة[٧]. وقد يكون التعليل السابق هروبا وابتعادا عن حقيقة الشعر، الذي لا يكتمل معناه إلا بتحليل شكله وأسلوبه كما تقدم.

حاول –بعد ذلك -(نيكلسون Nicholson) في سياق آخر تعليل الاعتماد على الغزل الحسي عند الشعراء الصوفيين، بأنه قناع "يسترون به الأمور التي رغبوا أن يكتموها"، خصوصا الصريح منها، وأن فيه صيانة لحريتهم وحياتهم، مفسرا الخوف بالدافع الذي ألجأهم إلى الرمزية[٨]؛ لتجنب المخاطر[٩].

واتفق (حسان) مع التفسير السابق، وجعل الغزل رمزا عند الشعراء الصوفيين بغرض الحفاظ على حياتهم؛ لمخالفتهم للقواعد المرعية عند الفقهاء[١٠].

---

[١] يتفق معه في ذلك (عبد الحكيم حسان). ينظر، التصوف في الشعر العربي، عبد الحكيم حسان، ص٨٨.

[٢] ينظر الصوفية في الإسلام، ص١٠١.

[٣] المصدر السابق.

[4] Studies in Islamic Mysticism, p169.

[5] Ibid, p169.

[6] Ibid, p175.

[7] Ibid, p176, p183.

[٨] الصوفية في الإسلام، ص١٠٢.

[9] Studies in Islamic Mysticism, p193.

[١٠] ينظر التصوف في الشعر العربي، عبد الحكيم حسان، ص٢٣.

وقدّم (نيكلسون Nicholson) على الرمزية السابقة أمثلة حاول تفسيرها بناء على تحويل الصور والمجازات والعبارات إلى معانٍ مرتبطة بالقيم الصوفية، فهو يرى أن كل وصف حسي أو طبيعي في شعر ابن الفارض؛ إنما كان رمزا وإشارة إلى الحب الإلهي الذي تجسد في هذه الظواهر[١].

وحاول (بسيوني) محاكاة (نيكلسون Nicholson) في تأويلاته الفائتة التي تجاوز بها قراءاته الحرفية، برد "المعاني التي تدور حول الرحيل والحزن عند البعاد والحنين إلى الحبيب كلها"، وربطها في عرف الصوفية بـ"الروح بعد ما فارقت مصدرها الأول"[٢]. واستفاد منها (حسان) في تأكيد قراءة الشعر الصوفي الذي يجب على المتعامل معه أن يتجاوز الأمور الظاهرية فيه، ومحاولة تفسيره بناء على معرفة مسبقة بالصوفية وإلا ستؤدي قراءته إلى المعاني الجاهزة التي قد يكون فيها محاكمة وادعاء[٣].

ولقد أضاف (نيكلسون Nicholson) في مقام آخر تعليلا، اقتبسه من (ابن عربي – ت٦٣٨هـ) لتفسير الرمزية السابقة، وأنها "تعبير عن عجزهم –يقصد الصوفيين –أو عجز العارف عن عدم قدرته في نقل ما وصل إليه الناس"، وأن "العارفين لا يستطيعون أن ينقلوا مشاعرهم جملة إلى غيرهم من الناس، وكل الذي يستطيعونه أن يرمزوا بها إلى الذين بدأوا بدأهم"[٤].

وعبّر عن تلك الصعوبة في نقل الحالة (وليم جيمس William James)، وأن ما يميز التصوف هو "استعصاؤه على الوصف"[٥]، وأكدها (زكي مبارك – ت١٣٧١هـ)[٦]، و(أنميريا سكيميل Annemarie Schimmel) التي ترى أن تحليل التجربة الصوفية ذاتها قد يكون أمرا مستحيلا؛ لأن "الكلمات لا تستطيع سبر أغوارها"[٧].

وما يلاحظ على التأويلات والتعليلات السابقة: تمكن (نيكلسون Nicholson) من إرساء طريقة لفك الرموز الشعرية، إلا أنها تابعة لتصور أن لكل لفظ مرجعا؛ حيث كانت الصوفية ومبادئها مرجع التأويل، الذي يضيف إثباتا آخر على أن الشعر الصوفي العربي كان دليلا على الصوفية وليس موازيا لها.

---

(1) Studies in Islamic Mysticism, p168.

(٢) نشأة التصوف الإسلامي، إبراهيم بسيوني، ص١٨٥.

(٣) ينظر التصوف في الشعر العربي، عبد الحكيم حسان، ص٢٩٥.

(٤) الصوفية في الإسلام، ص١٠٢.

(5) The Varieties of Religious Experience, William James, London green and Co, London, 1925, p380.

(٦) ينظر التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٣٨م، ج١، ص٢٩٣.

(٧) وهي تلميذة (أريري Arberry)، تلميذ (نيكلسون Nicholson). ينظر الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي، محمد عبد الله الشرقاوي، ص١٣.

ولقد أورد التعليلين على رغم ما فيهما من تناقض، فكيف يكون الغزل قناعا وعجزا في الوقت ذاته؟! فالقناع دال على الخوف بينما العجز دال على الإصرار في نقل التجربة التي لم تتسع لها اللغة، وهما وفق المنظور السابق نقيضان، لم يبادر (نيكلسون Nicholson) في حلهما أو شرح ملابساتهما.

وقد يعود هذا التناقض –أيضا –إلى عدم تمييزه بين مراحل الصوفية التاريخية أثناء عرضه وتحليله، ما جعل من خطابه واصفا للحالة الغزلية، يحاول لاحقا أن يعوضه بإثارة عدد من القضايا المرتبطة بالمتيمين وعلاقتهم بما يثبت فكرة الحب الإلهي، وهي قضايا استدلالية وتاريخية، يمكن عرضها على النحو الآتي:

تأكيد الحجة القياسية، القائمة على مقدمة مفادها: أن الله خلق أولئك العشاق المتيمين ليكونوا حجة لمن ادعوا محبته، وما اعتراهم في سبيل ذلك من حالات غير مألوفة[١]؛ لتكون النتيجة: أن حب الصوفي لله وما يبذله في تحقيقه من إخلاص وتركيز ينتج عنه فناء وغيبة ممكنين بالقياس إلى المقدمة السابقة.

وهو قياس قائم على مقدمة ضعيفة، لا ترتقي لأن تكون فرضية، فالعشاق والمتيمون يُشك في حقيقة وجودهم وحقيقة ما ارتبط مع حكاياتهم من هيام وعشق[٢]، فيكون القياس؛ قياس واقع على خيال.

تأكيد مبدأ التطور التاريخي للأفكار، فهو يتعامل مع حب المجانين على أنه مصدر يمكن البناء عليه ليكون بداية للوصول إلى الحب الإلهي، مستشهدا بـ(ابن عربي) وفكرته عن ذلك، "وأن حبك لشيء خلقه الله سيؤديك إلى حب الله ذاته"[٣].

ولقد جارى (بسيوني) (ابن عربي) و(نيكلسون Nicholson) في هذه الفكرة، وأشار إلى أن الهدف من ذكر شعراء العرب المتيمين: إثبات "أن في الوجدان العربي استعدادا للحب البريء الحالم المضني"، وإثباتا للأصول العربية لهذا الحب، وللصوفية التي حاولت محاكاته، بواسطة قياسه على الحب الإلهي[٤].

وتحاول هذه النتيجة أن تثبت إمكانية مبدأ التطور التاريخي، بوصفه "عملية بطيئة مستمرة"، ترجع العبقرية إلى العقل الجمعي أكثر من كونها ظاهرة فردية[٥]، وهذا ما لجأ (نيكلسون Nicholson) إليه، خصوصا وأنه –كما اتضح سابقا –معني بالسياق التاريخي للظواهر والشخصيات بهدف فهم مراحل تطورها[١].

---

[١] الصوفية في الإسلام، ص ص١٠٣-١٠٤. وحجة (ابن عربي – ت٦٣٨هـ) تقول:" إن الله تعالى ما هيّم هؤلاء وابتلاهم بحب أمثالهم إلا ليقيم الحجج على من ادعى محبته ولم يهم في حبه هيمان هؤلاء حين ذهب الحب بعقولهم وأفعالهم عنهم". ينظر نشأة التصوف الإسلامي، إبراهيم بسيوني، ص١٧٨.

[٢] نقل (عبد الحميد إبراهيم) أن (داود الإنطاكي – ت١٥٩٩هـ) لم تصح عنده بعض أخبار (قيس المجنون– ت ٦٨هـ)، وأن (الأصمعي – ت٢١٦هـ) أنكر وجوده أيضا. ونقل من (الأغاني) –أيضا –أن أشعار المجنون نُسبت إلى فتى من بني مروان. وينقل (إبراهيم) عن (بروكلمان Brockelmann) أنه نسبها إلى الخيال العربي. وهو يرى أخيرا أنها ليست إلا حكايات، وأن عقل المؤرخ "لا يستطيع أن يضفي على هذه القصص الصدق الواقعي والوجود التاريخي"، ولذلك فهو يتعامل معها بوصفها رموزا. ينظر قصص العشاق النثرية في العصر الأموي، عبد الحميد إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٦٧، ص ١٦٨، ص ١٧٠.

[٣] الصوفية في الإسلام، ص١٠٧.

[٤] ينظر نشأة التصوف الإسلامي، إبراهيم بسيوني، ص ص٥٦-٥٧.

[٥] ينظر مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ص٣٣، ص ٣٦.

يبقى –رغم ذلك –مبدأ التطور بحاجة إلى المزيد من الأدلة التاريخية ذاتها المثبتة لصيرورته التقدمية، بل إن المبدأ –ذاته –قد لا يكون صحيحا في كل تفسيراته، فهناك العديد من الوقائع التي قد تمضي بعكسه، لتثبت محله مبدأ الخلق الخاص، أو مبدأ الصراع الذي لا يجعل من التدرج والمحاكاة أداتيه الرئيستين، بل يعوضهما بالقفز والاختلاف، ومن الأمثلة القريبة على ذلك: أن (ابن الفارض .) –تلميذ (ابن عربي) –لم يهتم بشرح معانيه ومقاصدها كما فعل أستاذه، وفي هذا تراجع –بحسب رؤية (نيكلسون Nicholson) –ينافي فكرة التطور.

ويلاحظ على هاتين القضيتين –الحجة القياسية والتطور التاريخي –تأكيدهما أن الحب يمثل قيمة أساسية لدى الصوفية، وأن المصادر الإسلامية الداخلية كان لها دور في تأسيس التصوف وتطويره بإزاء المصادر الأجنبية، إلا أن الشعر بقي في حضوره وسيلة للتمثيل؛ إذ لم يتعامل معه (نيكلسون Nicholson) بوصفه مفهوما موازيا للواقع، وخطابا فنيا ليس بالضرورة أن يعبر عن الحقائق والوقائع بقدر ما يحاول التعبير عن الممكن منها، بل عامله مثل وثيقة تاريخية صالحة للاستشهاد أو القياس.

ويلاحظ أن (ابن عربي) كان نموذجه المنتخب في مناقشة هذه الظاهرة شعرا وتعليقا[٢]، في دلالة على اعتماده الأساسي على أسلوب الانتخاب، الذي وجده بناء على الشروط التاريخية صالحا للوصول إلى نتائج قابلة للتعميم.

وأكد هذه الطريقة في كتابه (A Literary History of The Arabs)، عندما وقف على نماذج من الشخصيات أو المقطوعات الشعرية، بل إنه يقول: إن "الاختيار أحيانا أصعب من التأليف"[٣]، كما أفرد لـ(ابن الفارض) فصلا في كتابه (دراسات في الصوفية الإسلامية –Studies in Islamic Mysticism) بوصفه مثالا لتطور الشعر الصوفي[٤]. والانتخاب طريقة قياسية، قد تساعد القارئ على الفهم والوصف والتخصيص، لكنها لا تؤهله إلى الحكم والتقييم والتعميم، لحاجة تلك الإجراءات الأخيرة إلى عينة واسعة من المادة المدروسة تؤهلها للأداء والإقناع، ومطابقة الحقيقة، بما أنها هدف المنهج الذي اعتمده (نيكلسون Nicholson).

ثغرات وإشكالات:

لقد فات (نيكلسون Nicholson) في تعرضه للشعر الصوفي العربي عبر نماذج أو مقطوعات عددا من المسائل المهمة، التي كان يمكن لها أن تربط مضمون ذلك الشعر بشكله، وبدلالات تتجاوز حدود التمثيل والتعليم والإثبات.

---

(١) مكن العودة في ذلك إلى دراسته للمعري. ينظر، Islamic Poetry and Mysticism, pp 43-141.

(٢) ولقد أشار إلى أهمية (ابن عربي – ت٦٣٨هـ) بوصفه نموذجا فريدا في الصوفية العربية وشعرها. ينظر .A literary History of The Arabs, p401

(3) Ibid, px

(٤) لقد عده الشاعر الثاني المهم بعد (ابن عربي). ينظر .Studies in Islamic Mysticism, p164

ويمكن تلخيص تلك المسائل في أربع نقاط:

١-عدم تنبهه لتأثير الشعر الصوفي العربي في الحلقات والرباطات، الذي عده (أبو حامد الغزالي - ت٥٠٥هـ) مهما لأسباب تتعلق بالوزن أكثر من تعلقها بالمعنى والفهم[١]. وتثير هذه الفكرة أهمية الشعر السابق من الناحية الشكلية، التي قلل منها (نيكلسون Nicholson)، ونقدها بالرتابة والبرود، وقصر الغاية منها على التعاطف الذي يراه ناتجا عن الفهم وليس عن الوجد المرتبط بالاستماع إلى الشعر. وهذا ما يخالف التصوف عند (الجنيد - ت٢٩٨هـ) الذي عرفه بأنه " ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع"[٢].

٢-عدم توسعه في وظائف الشعر الصوفي العربي التي حدها بالتعليم والتمثيل، فقد يضاف إليهما أهداف أخرى تتعلق بالتنبيه واليقظة والتذكير. وهذا ما ألمح إليه (أبو كلام Abu Kalam)[٣]، الذي وجه الهدف الاجتماعي من هذا الشعر إلى إيقاظ المشاعر الروحية، لتجعل القارئ أو المستمع يتذكر أكثر من كونه يتعلم[٤]، أو أن تكون مهمته إيقاظ الهمة نحو التوبة والإنابة[٥]، أو الاستلهام[٦]، أو التعبير الذاتي[٧]. وقد يعود عدم التوسع في الوظائف إلى طريقة النمذجة المتبعة من (نيكلسون Nicholson)، التي نتج عنها استقراء ناقص ومحدودية في الوظائف.

٣-تجاهله لتأثير الشعر الصوفي العربي في الثقافات والديانات المختلفة، وهو موضوع حاول (الشرقاوي) التدليل عليه، بعرض شواهد لتأثير الصوفية الإسلامية في الهندية[٨]، وفي المسيحيين المتصوفين مثل (يوحنا الصليبي)[٩]. وقد يكون ذلك بسبب تقديم (نيكلسون Nicholson) للشعر الصوفي الفارسي، وادعاء أفضليته على العربي، ومسايرته في ذلك للخطاب الاستشراقي الأول الذي جعل من الفارسية نثرا ونظما مصدر الصوفية الرئيس، في دلالة على أن أحكام (نيكلسون Nicholson) متابعة لمن سبقها دون تحقق أو حوار.

٤-إغفاله لارتباط كثير من هذا الشعر بالقصص، التي قد تكون بديلة لشرح المعلقين. ومن تلك القصص ما رواه (برهان الدين إبراهيم بن معضاد الجعيري - ت٦٨٧هـ) عن (ابن الفارض) في يوم احتضاره، وأن الجنة

---

[١] التصوف في الشعر العربي، عبد الحكيم حسان، ص٨٤. وألمح إلى هذه الفكرة أيضا أبو الكلام. ينظر، The Theme of Mysticism and its Impact to Arabic Poetry, p183.

[٢] الرسالة القشيرية، القشيري، ٥١٤هـ، مطابع الحلبي، القاهرة، ١٩٤٠م، ص١٣٩.

[3] The Theme of Mysticism and its Impact to Arabic Poetry, p182. P183.

[4] Ibid, p183.

[٥] نشأة التصوف الإسلامي، إبراهيم بسيوني، ص١٢٢.

[٦] فالصوفيون وجدوا الشعر أشهى وسائل التعبير الشبيهة بالإلهام عند أصحاب الفنون. المرجع السابق، ص١٧١.

[٧] فشعر الصوفيين العرب لم يكن إلا فيضا من شجون العشق، قصد به التعبير وليس المشاركة الوجدانية. المرجع السابق، ص٢٥٩.

[٨] الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي، محمد عبد الله الشرقاوي، ص ص ١١٣-١١٤.

[٩] المرجع السابق، ص١٢٦.

تمثلت له، فصرخ لمرآها وبكى وأنشد أبياتا[١]، تدل بواسطة تلك الرواية على الحب الإلهي، وهو ما كان إشكالًا لدى (نيكلسون Nicholson)، خصوصا عند (ابن الفارض) الذي خلت أبياته من الشرح المحدد للمقصود كما مر[٢].

خاتمة

كان تعامل (نيكلسون Nicholson) مع الشعر الصوفي العربي مرتبطا بالصوفية تاريخا وفكرا، بوصفها مرجعا للتمثل والتأويل؛ فكان الشعر بذلك موضوعا للاستشهاد والتأكيد، ومضمونا يجب أن يُفهم، ووسيلة لإكساب القارئ الأوروبي شعور التعاطف، ودلالة لا تتعدى وظائفها التعبير والوعظ والتعليم.

وكان لارتكاز (نيكلسون Nicholson) في دراسته للشعر الصوفي العربي على المنهج التاريخي دور في الانكفاء على المضمون وحده، الذي حاول بانتخاب نماذجه وشرحه إياها أن يجعله مواكبا للسياقين الثقافي والتاريخي، ومطابقا للواقع، وممكنا للتعميم، وحجة للقياس، ومراعيا لمبدأ التطور.

ويبدو أن ذلك المنهج أوقعه في عدد من الإشكالات، منها على مستوى التنظير: ضعف بنائه في بعض الحالات، مثل اعتماده على فرضية المتيمين على أنها حقيقة، وأصل للظاهرة الصوفية الشعرية العربية، المتطورة بانفتاحها على المصادر الخارجية. ومحاولته إثبات وجود خط صاعد لتأثر الشعراء الصوفيين وتمثلهم، قائم على الانتخاب وليس التحقق والاستقصاء؛ فجاءت النظرية بسبب ذلك استجابة للتصور التاريخي للتطور، وليس إجراء متدرجا في التثبت من الآراء والأفكار.

ومن إشكالاته في التطبيق: إهماله للبعد المجازي في تشكيل المعاني والدلالات، وعدم تمييزه بين مرحلتي الصوفية العملية والفلسفية أثناء عرضه وتحليله، الذي أوقعه في عدد من التناقضات، مثل وقوعه في الإجراء الذي حذر منه، المتعلق بالتوسع في الأفكار على حساب الفنيات، وتأويل استخدام أسلوب الشعراء المتيمين من قبل الصوفيين بالخوف تارة، وبالعجز عن التعبير تارة أخرى، دون تمييز بينهما، ورأيه بأن الصوفية والتفكير الحر مشتركان في التصور، رغم أن الأولى تبقى عقيدة، تنافي الحرية في رؤيتها النسبية للحقيقة.

ومن إشكالات منهجه في الأحكام: غياب الدلائل التاريخية الشارحة والمفسرة، مثل تفضيله الشعر الصوفي الفارسي على العربي، والحكم على العقل العربي بالمحدودية والعجز عن دمج الأفكار والصور، وتأثر الصوفية العربية بالمسيحية.

---

(١) نقلها الباحث من كتاب: شعر عمر ابن الفارض دراسة في فن الشعر الصوفي، عاطف جودة نصر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م، ص ص ٦٤-٦٥.

(2) Studies in Islamic Mysticism, p169.

يلاحظ أخيرا أن بعض دلائله ونتائجه كانت تأكيدا للخطاب الاستشراقي المتوارث، المحافظ على وحدة رؤيته للشرق؛ حيث جعل من الشعر الصوفي العربي مثالا إضافيا للعقل العربي غير القادر على إدراك الوحدة بين الأشياء؛ بسبب بيئته ولغته.

يبقى (نيكلسون Nicholson) رغم ذلك مهما في مبادئه حول ضرورة تقديم الفهم على الحكم، والفن على الفكر، وكان ملهما ومؤثرا في قراءته الرمزية للشعر الصوفي التي تأثر بها بعض النقاد العرب، ومثالا جيدا على ضرورة تنويع طرق الاستنتاج التي مثّل عليها بالمقارنة، والنفي للإثبات، وإيجاد الشبه بين الصوفية والمذاهب الأخرى عن طريق الشعر. وكان محفزا لتطوير النظر في مثل هذا النوع من الشعر الذي لا تكتمل منظومتيه الدلالية والفنية إلا بالإحاطة بمرجعها التاريخي وسياقها الثقافي؛ بهدف تعميق الفهم الذي عده شرطا للتذوق.

قائمة المصادر

الصوفية في الإسلام، رينولد نيكلسون، ترجمة: نور الدين شريبه، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ٢٠٠٢م.

A literary History of The Arabs, Reynold Nicholson, New York University Press, New York, 5ed, 1907.

Studies in Islamic Mysticism, Reynold Nicholson, Cambridge University press, Cambridge, 1921.

Islamic Poetry and Mysticism, Reynold Nicholson, Adam Publishers and Distributors, New Delhi, 2011.

قائمة المراجع

الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي (مصادره وآثاره) تحليل ونقد، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣م.

الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

آلام الحلاج، لويس ماسينيون، ترجمة: الحسن مصطفى حلاج، شركة قومس للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤م.

التصوف (دائرة المعارف الإسلامية)، لويس ماسينيون، مصطفى عبد الرازق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤م.

التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري، عبد الحكيم حسان، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط١، ١٩٣٨م.

التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٥م.

الحياة الروحية في الإسلام، محمد مصطفى حلمي، مطابع الحلبي، القاهرة، ١٩٤٥م.

ديوان الحلاج، الحلاج، جمع: لويس ماسينيون، كتاب إلكتروني، مجلة الكتب العربية، alarabimag.com/download/20543

الرسالة القشيرية، القشيري، مطابع الحلبي، القاهرة، ١٩٤٠م.

شعر عمر ابن الفارض دراسة في فن الشعر الصوفي، عاطف جودة نصر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م.

قصص العشاق النثرية في العصر الأموي، عبد الحميد إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.

المسرحية العربية والتطورات المبكرة الأشكال التقليدية للفن المسرحي، محمد مصطفى بدوي، ترجمة: ابتسام صادق، ضمن كتاب تاريخ كمبردج للأدب العربي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ٢٠٠٢م.

مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت وآخرون، ترجمة: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠م.

مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة: محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧م.

مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت/صيدا، ٢٠٠٩م.

مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ديفيد ديتسش، ترجمة: محمد يوسف نجم، مراجعة: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.

منهج البحث في الأدب واللغة، لانسون ومايبه، ترجمة: محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت).

موسوعة المستشرقين طبعة جديدة منقحة ومزيدة بثمانين مادة جديدة، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

اللمع، أبو نصر السراج، تحقيق: عبد الحليم محمود، سرور طه، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠م.

نشأة التصوف الإسلامي، إبراهيم بسيوني، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

النقد الأدبي الحديث بداياته وتطوره، حلمي القاعود، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٦م.

النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانل هايمن، ترجمة: إحسان عباس، محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر، ١٩٦٠م.

Mysticism in Islam, William C Chittick, A lecture Delivered at The David.M. Kennedy Center for International Studies, Brigham Yong University, May 2003.

Modern Trends in Islam, H. A. R Gibb, University of Chicago Press, Chicago, 1947.

The Theme of Mysticism and its Impact to Arabic Poetry, Abu Kalam Choudhury, International Journal of Humanities and Social Science Studies, volume 11, issue, July 2015.

The Varieties of Religious Experience, William James, London green and Co, London, 1925.

p-ISSN: 1652 - 7189 e-ISSN: 1658 - 7472 Issue No.: 26 ... Rajab 1442 H – March 2021 G

Albaha University Journal of Human Sciences

Periodical - Academic - Refereed

Published by Albaha University

دار المنار للطباعة 017 7223212

Email: buj@bu.edu.sa https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs